مشارها،

صفة قلعة النجاء

وهذه القلعة امنع من العقاب، وارفع من السحاب، يناجي
السماك سماكها، ويباهي الافلاك استمساكها، كأن الشمس في
شرفها، ترس من الابريز على بيض شرفها، وكأن الثريا في انتصابها،
قنديل معلق على بابها، لا يحوم طائر الوهم عليها، فانى يصل طائش
السهم اليها، ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال الخيال وافكاره، فضلا
ان يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار، وكان التون
قد تربى في ترائب ترابها، واهل مكة اخبر بشعابها، فصار كاسجي
الليل الساجي، وارصد لسراق الشياطين عيونه الرواجم، هبط من
تلك القلال، وسرى سرى طيف الخيال، ودب دبيب الشيح في اللحم،
والماء في العود والنار في الفحم، من درب لم تتوهمه الظنون، بكون
من لا تراه العيون، بحيث لا يشعر به الحرس، ولا يبصره العسس،
ولا يزال يتلو عليهم آيات الاغفاء، وينفث بطلسماته الاستخفاء،
ويتقرب ويترقب، حتى يلوح له في الحي مضرب، فيقتل ويسلب
وينهب ويهرب، فيكر سالما، ويفر غانما، فلم يزل ذلك دابهم
ودابه، حتى اعجز تيمور واصحابه، فلم ير تيمور اوفق من الارتحال،
لضيق المجال، وعسر المنال، فارتحل عنها بعد ان رتب عليها للحصار
اليزك، واستمر الحصار مدة طويلة والقضا يقول له اصبر فانها
لن تتحرك، قيل انها مكثت في الحصار اثني عشر سنه، وسبب اخذه
لها ان التون المذكور، كان له اخ بالفسق مشهور، فحصل بينه
وبين ام السلطان طاهر، خيانة اوجبت عليه ما يجب على العاهر،
فاطلع على ذلك طاهر بن السلطان احمد، فقبض عليهما وقتلهما سالكا
في ذلك الراي الاحمد، وكان اذ ذاك التون عن القلعة غائبا، قد
خرج منها وقصد للغارة جانبا، فلما رجع التون اغلقوا باب القلعة
عليه، ورموا باخيه من فوق السور اليه، واخبروه خبره، وعجره

وبجره

وبجره، فقال جزاكم الله احسن الجزاء، وجعل حظكم من الخيرات اوفر
الاجزاء، لو كنت عالما فعله، لعاملته بما هو اهله، وفعلت به ما
يجب فعله، وحل به من الزمان دواهيه، واريتكم العبر فيه،
واشهرته في خلق الله تعالى وبريته، وناديت عليه هذا جزاء من يخون
ولي نعمته، ثم طلب الدخول، فقطعوه عن الوصول، فقال اما اخي
فانه جنى فذاق ثمرة ما جناه، واما انا فقلبي على الوفاء بعهدكم
من الازل والى حين وفاه، ولم ازل موالي وليكم، ومعادي عدوكم،
فان طردتموني فالى اين اذهب، وان رددتم رغبتي فيكم ففيمن
ارغب، فقالوا انما ادركتك الحمية، ولحقتك العصبية، فتذكرت
اخاك، وتفكرت شدتك بعد رخاك، فنقمت، وانتقمت
واعوججت بعد ما استقمت، وتكدر منك ما صفا، وناهيك قصة
الاخوين مع ذات الصفا،

وقلت شعر

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه ... ولكنه يبقى به عقدة الربط

فناشدهم ايمانا واثقة، ان كلماته وعهوده صادقة، فقالوا له لا
تطل فما جبت، ما لك عندنا مقيل ولا مبيت، فارجع من حيث
جئت، وهذا آخر العهد منك غضبت ام رضيت، فاخذ يذم
دهره، وياكل يده ندامة وحسره، على انه انفد عمره، في طاعة
من لم يعرف قدره، ثم دلى فتدلى، وعبس وتولى، وسيب فرسه
وماله، وفرق خيله ورجاله، ولما لم يكن له ملجا، سوى قلعة
النجا، وقد خرجت من يده، والقت النار في كبده، ضرب اخماسا
لاسداس، فيمن يقصده من الناس، ثم اورى برايه الزند،
ان يقصد مدينة مرند، وكانت تحت حكم تيمور، وفيها امراء
تيمور، فسالمها، وقصد حاكمها، لابسا لبدا، ونادى كاما لا وولدا،
فلما اتصل بحاكمها الخبر، احاط به الجبن والخور، فاضطرب
واقشعر، واضطرم واعتكر، واخذ الحذر، ورام المفر،

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)